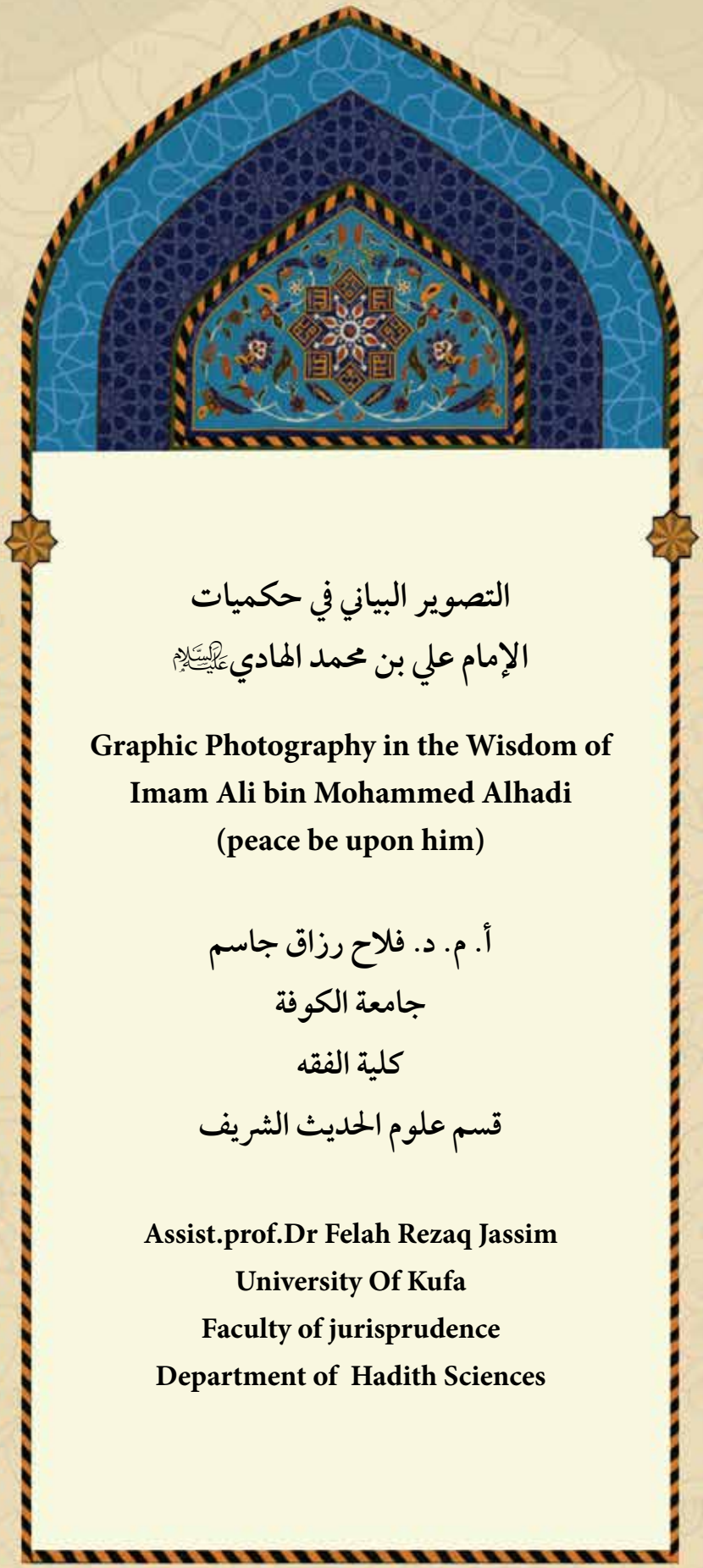

التصوير البياني في حكميات
الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

Graphic Photography in the Wisdom of Imam Ali bin Mohammed Alhadi (peace be upon him)

أ. م. د. فلاح رزاق جاسم

جامعة الكوفة

كلية الفقه

قسم علوم الحديث الشريف

Assist.prof.Dr Felah Rezaq Jassim

University Of Kufa

Faculty of jurisprudence

Department of Hadith Sciences

التصوير البياني في حكميات
الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

الملخص:

يكشف هذا البحث عن فنية التعبير البياني في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام؛ وذلك من خلال رصد مزايا فنون البيان التي وظفها الإمام عليه السلام في كلامه الشريف؛ حتى يتم الكشف عن معالم القدرة الفنية والإبداع التصويري والأداء البلاغي في لغته.

ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث وانتظمت طبيعته في ثلاثة محاور، تكفّل المحور الأول بعرض إطلالة على مكانة الإمام العلمية والفضائل التي يمتلكها مع الكشف عن شخصية الإمام في كتب المسلمين، وأما المحور الثاني فقد تكفّل بعرض معالم فن التصوير في الكلام، وأما المحور الثالث فقد تكفّل بعرض نماذج من كلام الإمام الهادي عليه السلام تحمل بعداً تصويرياً بليغاً ومؤثراً .

الكلمات المفتاحية:

شخصية الإمام علي الهادي عليه السلام، الجانب الحسي، الجانب الايحائي، مقاييس الحكم.

Graphic Photography in the Wisdom of Imam Ali bin Mohammed Alhadi (peace be upon him)

Abstract:

This paper is to discover the graphic expression art in The Imam Ali Alhadi's speech(peace be upon). This is doing through checking the graphic expression functioning by the Imam's speech in which the discovery of features of artistic ability and creative photography and the performance of his rhetoric language.

Through those approaches, the paper tackles in three areas: Firstly, it shows The Imam's knowledge and virtues with the discovery of his character in Muslims' books. Secondly, it shows the landmarks of photography art in speech. Thirdly, it shows samples from the Imam's speech with bearing rhetoric and interesting photography.

key words:

The character of Imam Ali Al-Hadi, Sensory side, The symbolic side, Judgment Scales.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

مقدمة البحث:

إن الحديث عن أهل البيت عليهم السلام وتاريخهم الناصع أروع الحديث، وإن سيرتهم المشرقة بالأصالة والسمو أنبل السير، وإن حياتهم الحافلة بالإنجازات وبالعطاءات أرقى ما شهدته البشرية من حياة لما تطفح من هدى، وتنضح من رشد، وتنشر من عبق ونور أولئك القادة الأعاظم الذين هم خزان علم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومستودع حكمته وأسراره وعارفو أسرار التنزيل، ومن الجدير بالقول أن هناك جوانب من سيرة الأئمة عليهم السلام وتأريخ واقعهم الفكري لم يحظ بتلك الأهمية ـ ولا زال ـ بالمعنى المعاصر في العرض والسرد والتحليل، فهناك جوانب لم تعط حقها ـ بعد ـ كي تنير السبيل إلى معرفة تراثهم والاطلاع على كنوزهم الثمينة، ومن هنا جاءت فكرة البحث لتسلط الضوء على جانب آخر من الجوانب الوهاجة في فكر أهل البيت عليهم السلام وبالأخص في حكميات الإمام الهادي عليه السلام كما في الموضوع المعنون، وحصراً في قضية التصوير البياني في أدبياته عليه السلام؛ لأن التصوير البياني ظاهرة فنية في القرآن الكريم قبل أن تكون في أقوال المعصومين عليهم السلام وبياناتهم، وبالفعل هي مستوحاة منه، وقد اتخذ بوصفه وسيلةً للتعبير عن الأغراض الدينية كي يقترن الجمال بالعقيدة، فهو يعد من الدراسات النقدية القرآنية والحديثية بنسبة ما، ذات الطابع النقدي الحيوي، أما الصعوبات التي واجهت البحث فتمثلت في طبيعة المصادر والمراجع المعتمدة، وقد زالت تلك العقبات بفضل الإصرار والمثابرة، وكان المنهج المتبع في هذا البحث البدء بتمهيد عن التصوير البياني، معرفاً به ومبرزاً قيمته في المعنى ودوره في تحقيق الأغراض الفنية، وكان من حصة المبحث الأول الكلام عن السيرة العطرة والمكانة العلمية للإمام الهادي عليه السلام في مصنفات المسلمين، أما المبحث الثاني فانصبّ في دراسة التصوير البياني وإبراز الصورة الفنية من خلال التطبيق الموضوعي على أدبيات وحكميات الإمام الهادي عليه السلام في محاولة لبيان قيمته البيانية وتوضيح صورتها الفنية بجانب انتزاع سمتها الدلالية، بمقدار ما تسمح به مساحة البحث، ولخصت الخاتمة مجمل ما جاء فيه من مفاصل، وأردفته بقائمة من المصادر والمراجع ذات الشأن، ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق وصلى الله على محمد وآله المعصومين .

المبحث الأول:

إطلالة على المكانة العلمية والفضائل السنية للإمام الهادي عليه السلام

شخصية الإمام الهادي عليه السلام في كتب المسلمين:

تطرق الباحثون والأعلام، وأشار أهل الفضل والأدب إلى شخصية الإمام الهادي عليه السلام ومكانته، وأوضحوا جوانب من فضائله ومناقبه وخصائصه المتفردة العظيمة، ومن باب الإشارة نقول: إن هذا الإقرار من قبل هؤلاء الأعلام

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

والإشادة بشخصيته اللامعة لم تقتصر على محبيه ومريديه، وإنما شمل حتى أعدائه ومناوئيه، ومن الواضح أن أقوال هؤلاء الأعلام وانطباعاتهم توضح لنا معالم شخصية الإمام عليه السلام وملامح مكانته وسمو مقامه، وأن القدر الجامع لكلمات أولئك الأعلام والكتاب من معاصري الإمام ومؤرخي سيرته العطرة هو الإشارة إلى سعة علومه وغزارة معارفه وهيبته وسمو شخصيته، فضلاً عما يتمتع به من صفات وخلال جعلته القدوة المثلى في الفضائل والمآثر، وتسنمه مقام الصدارة في العلوم والمعارف، وأنه في طليعة علماء وقته، فلم يتقدم عليه أحد في الفضل ولم يسبقه سابق في العلم. وسنختار في هذا المبحث نماذج مما أدلى به أهل العلم، وما دونه أرباب الأدب والتاريخ في الإشادة بشخصيته ومقامه والتعريف بسيرته وأحواله المباركة، وتكاد كلمات هؤلاء الحفاظ والمؤرخين تجمع على كون الإمام الهادي عليه السلام إماماً وفقيهاً ووارث أبيه علماً وفضلاً، وهذا ما يمنح قضية إمامته في الدين والدنيا وأسبقيته في الفقه والعلم مكان الصدارة، وأنها من الحقائق الثابتة التي لا تحتاج إلى مؤونة استدلال أو مزيد بيان، ولا إشكال في ذلك، فلا غرو في أنه عليه السلام قد تلقى تلك المعارف والعلوم على يد أبيه الجواد عليه السلام، وأسند عنه الحديث بتلك السلسلة الذهبية الناصعة عن آبائه المنتهية إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وإلى مصدر الوحي، والتي عبر عنها أحمد بن حنبل بقوله: (لو قرأت على مجنون لبرء من جنته...)[١].

وحسب هذه السلسلة تلألأ أنها تنتهي بجدهم أمير المؤمنين عليه السلام باب علم مدينة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ووارث علمه، ومستودع حكمته وأسراره، وكفى بذلك فخراً وعظمة وسمواً وارتقاءً وشأناً وشموخاً، وبالإمكان الرجوع إلى رواة التاريخ وكتب التراجم لمعرفة ما أوردوه في بيان مجمل صفات الإمام الهادي عليه السلام ومعالم سيرته الوضاءة، فمما جاء في هذا الصدد ما يأتي:

١- الحافظ الذهبي قال عنه: (كان فقيهاً إماماً متعبداً)[٢].

٢- الحافظ ابن كثير الدمشقي وصفه بأنه: (كان عابداً زاهداً)[٣].

٣- النسابة الداوودي قال: (كان في غاية الفضل ونهاية النبل)[٤].

٤- اليافعي نعته بأنه: (كان متعبداً فقيهاً إماماً)[٥].

٥- الحافظ ابن حجر الهيثمي قال: (كان وارث أبيه علماً وسخاءً)[٦].

٦- ابن العماد الحنبلي وصفه بالقول: (كان

(١) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص٢٠٣.
(٢) العبر، ج١، ص٣٦٤.
(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص١٥.
(٤) الداوودي، عمدة الطالب، ص١٨٨.
(٥) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص١٦٠.
(٦) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص١٢٣.

فقيهاً إماماً متعبداً)[1].

٧- الشبلنجي قال عنه: (مناقبه رضي الله عنه كثيرة)[2].

٨- القندوزي الحنفي وصفه بالقول: (كان أبو الحسن علي الهادي عابداً فقيهاً إماماً)[3].

والملاحظ هنا أن مجموع ما تقدم ذكره من أقوال صادرة عن هؤلاء الحفاظ بحق الإمام الهادي عليه السلام وشهادات في الإشادة بحقه ودرجته العليا تجعل له المقام الأسمى والمرتبة العليا والمكان الأوحد في دنيا العلم والفضل والفقه والنبل والزهد والعبادة، ومن المؤكد حقاً، بل المقطوع به، أن الإمام الهادي عليه السلام قد بزّ علماء عصره، وتسنم مقاليد الزعامة في شتى العلوم والمعارف؛ فقد روي له الكثير من ذلك، أما في مجال عبادته وتهجده وسهره الليل بالصلاة والدعاء والتلاوة فقد كان مضرب المثل، وبعد فهو من البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ومن الطبيعي جداً أن يقوم بأداء مهمته الرسالية الدينية ومسؤوليته الشرعية في تربية طلاب العلم والمعرفة وإغنائهم بفقه القرآن والتنزيل وأسرار العقيدة الحقة وتزويدهم بمعارف جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالمأثور عنه وإبلاغهم حقائق التشريع الإسلامي وفكره الحقيق، وتلك هي سمات الإمامة وينبوع العصمة والقداسة.

٩- ابن طلحة الشافعي أشاد بمناقب وفضائل الإمام الهادي عليه السلام بالقول: (فمنها ما حل في الآذان محل حلاها بأشنافها، واكتنفته شغفاً به أكناف اللآلئ الثمينة بأصدافها، وشهد لأبي الحسن أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها، وأنها نازلة من الدوحة النبوية في ذرى أشرافها وشرفات أعرافها)[4]، والحق أن هذا الاعتراف من هذا العالم بفضل الإمام عليه السلام يشير إلى حقيقة ثابتة وفضائل ناصعة، تلك هي مناقب الإمام عليه السلام الكثيرة والتي دونتها كتب التاريخ وسجلتها صفحات ومداد العلماء، فقد ذكرت للإمام الهادي عليه السلام مناقب جمة اعترف بها معاصروه ومترجموه، وأشاد بها فطاحل العلماء وكبار الحفاظ، لا لشيء إلا لحقيقتها وواقعيتها وثبوتها، وإن الله تعالى أجرى تلك المناقب على يديه لأنه الإمام والعبد الصالح المجاب الدعوة والخارق لحجاب طلب الاستجابة[5].

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، ص ١٢٨.

(٢) الشبلنجي، نور الأبصار، ص١٥١.

(٣) القندوزي، ينابيع المودة، ص ٣٨٦.

(٤) الشافعي، ابن طلحة، مطالب السؤول، ص ٨٨ .

(٥) يمكن النظر في مناقب ومعاجز الإمام الهادي عليه السلام: البحراني هاشم مدينة المعاجز، الراوندي قطب الدين: الخرائج والجرائح، المجلسي، بحار الأنوار .

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

١٠- ابن خلكان أحمد بن محمد ،فقد تحدث عن الإمام قائلاً: (أبو الحسن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا عليه السلام، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، وكان قد سعي به إلى المتوكل وقيل إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، وأوهموه أنه يطلب الأمر لنفسه، فوجّه إليه بعدة من الأتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة فوجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة، يترنم بآيات من القرآن والوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى)[1]، وتلك هي شهادة من هذا العالم واعتراف صريح بإمامة الإمام الهادي عليه السلام، فضلاً عن الاعتراف بباقي الأئمة الأحد عشر عليهم السلام، فضلاً عن محاصرة الإمام عليه السلام في بيته من قبل سلطان عصره، وهذا ما يحكي جور ذلك الحاكم واستبداده وتصرفه بمقدرات الأمة لكي لا يتمكن الإمام من أن يقوم بممارسة دوره القيادي والريادي والفكري لإرشاد الناس وصلاحهم وهدايتهم، يضاف إلى ذلك الإشارة والإشادة بعبادة الإمام عليه السلام، تلك العبادة التي تجعل منه ذائباً بحب القرآن والتفاني فيه لحدّ أنه وجد في تلك اللحظة وعلى حين غرة متوجهاً بكل شوق وإخلاص وإلحاف لعبادة ربه وتلاوة آيات كتابه، وتلك هي أبهى سمة من سمات إمامة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام .

١١- ابن كثير الدمشقي، وصف الإمام بأنه كان عابداً زاهداً، فقال ما نصه: (وأما أبو الحسن الهادي، فهو ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن أبي طالب، أحد الأئمة الاثني عشر، وهو والد الحسن ابن علي العسكري، وقد كان عابداً زاهداً، نقله المتوكل إلى سامرّاء، فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها)[2].

وهذه شهادة أخرى من هذا المؤرخ الأموي الهوى بكون الإمام عليه السلام أحد الأئمة الاثني عشر تعد اعترافاً صريحاً بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام المشار إليها في الروايات الواردة عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله والمذكورة في صحاح وسنن ومصنفات المسلمين من الطرفين، أضف إلى ذلك التأكيد على عبادة الإمام عليه السلام وزهده، فهي من المسلمات التي لا تحتاج إلى دليل

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٣٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٤٢٩.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

أو برهان، فقد كانت عبادته وزهده مضرب المثل لدىٰ الجميع، فضلاً عن علمه وفضله واحتجاجاته ونحوها .

١٢- الهيثمي ابن حجر، أشار إلىٰ علم الإمام عليه السلام وسخائه مقتصراً في ذلك بالقول: (وكان ـ أي الإمام الهادي عليه السلام ـ وارث أبيه علماً وسخاءً)[١].

١٣- الذهبي محمد بن أحمد، نعت الإمام الهادي عليه السلام بالفقيه والسيد الشريف فقال ما نصه: (علي بن محمد بن علي ابن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن زين العابدين، السيد الشريف، أبو الحسن، العلوي الحسيني الفقيه أحد {الأئمة} الاثني عشر وتلقبه الإمامية الهادي)[٢].

١٤- الشبلنجي مؤمن عد مناقب الإمام الهادي عليه السلام بكونها كثيرة فقال: (ومناقبه رضي الله عنه كثيرة)[٣]، ناقلًا كلمات بعض العلماء عن مناقبه سلام الله عليه .

١٥- ابن عنبة، أشاد هذا النسابة القدير بالإمام الهادي عليه السلام قائلاً: (وأما علي الهادي فيلقب بالعسكري لمقامه بسر من رأىٰ، وكانت تسمىٰ العسكر، وأمه أم ولد، وكان في غاية الفضل ونهاية النبل)[٤]، ومن الطبيعي جداً أن يكون الإمام عليه السلام كذلك، فما رواه مؤرخوه ومترجموه وما أشار إليه معاصروه يدل دلالة قاطعة علىٰ تقدم الإمام علىٰ معاصريه وصولته في ميدان الفقاهة والنباهة .

١٦- الشبراوي، أشار إلىٰ مناقب وكرامات الإمام عليه السلام قائلاً: (العاشر من الأئمة علي الهادي، ولد عليه السلام بالمدينة في رجب سنة أربع وعشرين ومئتين وكراماته كثيرة)[٥]، أجل، كثيرة هي كرامات الإمام، فقد روىٰ الحفاظ والمؤرخون فصولاً كثيرة من تلك الكرامات، واحتفظت بطون التاريخ بجملة كبيرة منها، ولا زالت كراماته الغيبية منها محط الأنظار ومهوىٰ القلوب والأبصار.

١٧- ابن العماد الحنبلي، وصف الإمام عليه السلام بصفات الفقاهة والعبادة إضافةً إلىٰ إمامته، فقال ما نصه: (أبو الحسن بن الجواد محمد بن الرضا علي بن الكاظم موسىٰ بن جعفر الصادق العلوي الحسيني المعروف بالهادي، كان فقيهاً إماماً متعبداً، وهو أحد الأئمة الاثني

(١) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص٢٥٥.
(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج١٩، ص٢١٨.
(٣) الشبلنجي، نور الأبصار، ص ٣٨٥.
(٤) ابن عنبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ص ١٨٨.
(٥) الشبراوي، الإتحاف بحب الأشراف، ص١٧٦.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

عشر كالأنبياء)[١]، وهذا اعتراف قاطع بإمامة الهاديعليه السلام فضلاً عن فقاهته وعبادته وإنه أحد الأئمة الاثني عشر، إشارة إلى حديث الأئمة الاثني عشر المتواتر المروي عند الفريقين، فإن هذا الاعتراف والشهادة لم يكونا ناشئين من فراغ، فقد اعترف جميع من ترجم له بتلك الصفات وهذه الخلال.

١٨- الجنيدي أبو عبد الله أقسم بأن الإمامعليه السلام خير أهل الأرض: فقال: (والله تعالى لهو خير أهل الأرض وأفضل من برأه الله تعالى)[٢]. فإن هذا القسم من هذا العالم بكونه خير أهل الأرض لا لعقيدته الحقة فيه فحسب، وإنما هو اعتراف نابع من واقع وحقيقة ملموسة ذكرها القاصي والداني؛ لأن الإمامعليه السلام بحكم إمامته الحقة وتسنمه عرش الفضيلة، وتقلّده منصة العلوم والفقاهة، لهو خير شاهد على ما ذكره الجنيدي هذا.

١٩- القرماني الدمشقي أشار إلى مناقب الإمامعليه السلام وأوصافه بما نصه: (الإمام علي بن محمد الهادي... وأما مناقبه فنفيسة وأوصافه شريفة)[٣] فإن هذا الكلام لم يتخط الحقيقة ولم يتجاوز الواقع؛ لأن ما ذكره المؤلفون في أحوالهعليه السلام، وما دونه الكتاب والحفاظ كثيرٌ جداً وقد أشاروا إلى تلك المناقب بلسان الفخر وجميل الاعتزاز.

٢٠- الزركلي خير الدين وصف الإمامعليه السلام بالتقوى والصلاح، فقال ما نصه: (علي، الملقب بالهادي، بن محمد الجواد بن علي الرضي بن موسى بن جعفر الحسيني الطالبي، عاشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وأحد الأتقياء الصلحاء)[٤]. فهذه الشهادة من هذا المؤلف لا شك في أنها نابعة من فيض الإمامة وقدسية العصمة؛ لأن شهادة معاصري الإمامعليه السلام تشير إلى هذه الحقيقة، وإن ما يميز الإمامعليه السلام هو التقوى والصلاح، وإنهما مزيتان اتسم بهما الأئمة من أهل البيتعليهم السلام وقد فاقوا الجميع بهما، وهناك أقوال واعترافات أخر لآخرين، نكتفي بما تقدم بوصفه دليلاً وبرهاناً على إمامة الإمام الهادي وفضائله وخصائصه، وكلها شهادات ووقائع حية شاخصة ونماذج شاهدة على المكانة السامية والمقام الأرقى للإمام الهاديعليه السلام عند جميع المسلمين، بناءً على ما جاء

(١) ابن العماد، شذرات الذهب، ج٢، ص ١٢٨.
(٢) أعلام الهداية، الإمام علي بن محمد الهادي، ص٢٢، نقلا عن كتاب مآثر الكبراء، ج٣، ص١٦.
(٣) القرماني، أخبار الدول، ص ١١٧.
(٤) الزركلي، الأعلام، ج٤، ص٣٢٣.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

في ألفاظهم وأقوالهم المعبرة عن التقدير البالغ والإجلال والإكبار لعظمة الإمام عليه السلام وشخصيته المرموقة، وفيها الإشارة إلى فضائله ومناقبه وكراماته عليه السلام، وتزينه بكرائم الأخلاق ومكارم الصفات، وبالإشادة إلى تفوقه على سائر أهل عصره وزمانه، ولم يكن هناك من يماثله بالعبادة والتهجد والانقطاع إلى الباري تعالى، فضلاً عن زهده وورعه وتقواه، يضاف إلى ذلك كمال سيرته العطرة وسلوكه المستقيم وعلمه المتفوق وما يمتاز به من حكمة وبصيرة، إلى جانب فصاحته وبلاغته، وكل تلك الصفات والخلال جعلته يستحق لقب أفضل أهل زمانه علماً وعبادة وفقهاً وفضلاً وشرفاً ونبلاً ومرتبةً وشاناً ومنزلةً سامية ومكانةً رفيعةً.

إن مما يجب الوقوف عنده والتأمل فيه هو أن تلك الإشادة من هؤلاء الأعلام بالإمام عليه السلام ومنزلته السامية ومرتبته الفائقة تعبر تعبيراً واقعياً عن مصادر علم الإمام عليه السلام ومنابع عبقريته الفكرية والثقافية الفذة، من المنطقي جداً أن نطلع على ما يقوله الشيخ محمد حسن آل ياسين، إذ يدعو إلى (معرفة ما أسند إلى هذا الإمام العظيم من تراث الإمامة الواسع الممتد عبر عوالم الفلسفة والتوحيد والتفسير والفقه والأخلاق والسلوك، مع تنبيه كل القراء ـ بادئ بدء ـ على أن هذا الإرث النفيس لم يسمعه الرواة منه بطريقة الدرس والمحاضرة والإلقاء السردي للمطالب المنوه عنها ـ كما قد يتصور بعض الناس اليوم ـ وإنما هو في معظمه جواب مباشر عن أسئلة خواصه وأصحابه أو رد على استعلام زائريه ومراجعيه أو شرح لما يود فهمه الراغبون بذلك من رواد مجلسه من طلاب العلم وعشاق المعرفة)[1]، ولما كان الغوص في بحر هذا التراث العظيم أمراً ليس بالسهل اليسير لكل باحث كونه تراث الإمامة الخالد ذا القيمة الربوبية والمسحة المحمدية؛ لذا تجب الدقة وأخذ الحيطة والحذر في استكناه معالمه واستعراض جداوله بمقدار ما تسمح به مساحة الفهم ووضة الذهن، وبالاستعانة بحول الباري تعالى وقوته، من هذا الملحظ انعقد المبحث الثاني للتصوير البياني في كلمات الإمام الهادي عليه السلام، وإيضاح فحوى الصورة الفنية في بليغ أقواله وفصيح ألفاظه، بالغوص في ذلك

(١) آل ياسين محمد حسن، الأئمة الاثنا عشر، ج٢، ص٣٥٨.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

العباب الزاخر لالتقاط ما تيسر لنا التقاطه من جواهره الثمينة ودرره القيمة بالرجوع إلى المأثور من أقواله وحكمياته عليه السلام.

المبحث الثاني:

معالم التصوير البياني في حكميات الإمام الهادي عليه السلام

قبل الولوج في بيان حيثيات أو ألوان وأنماط التصوير البياني في كلمات وبيانات الإمام الهادي عليه السلام يجدر بنا توضيح المراد من التصوير البياني أو الصور الفنية؛ كي يتسنى لنا تطبيق ذلك الملحظ على مصاديقه في حكميات الإمام عليه السلام، بتحقيق عملية التواصل بين النظرية والتطبيق لاستكشاف شبكات المعاني المتجسدة والمتجذرة في مواعظه ونصائحه سلام الله عليه، الكامنة في حكمياته؛ لأن البحث يهدف إلى دراسة فكرة نقدية معاصرة، هي القول باعتماد الأئمة عليهم السلام من أهل البيت ـ عادة ـ أسلوب التصوير في التعبير عن أغراضهم تطبيقاً لما اعتمده القرآن الكريم في هذا المجال (فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن الأنموذج الإنساني والطبيعة البشرية)[١] وانطلاقاً من هذا الهدف سندرس التصوير البياني أو ظاهرة الصورة الفنية في أدبيات وحكميات الإمام الهادي عليه السلام، ويمكننا القول في هذا المجال إنه لم يكن اعتماد الصورة الفنية معياراً كأسلوب استحدثه النقاد المعاصرون، بل إنه الأساس الفطري الأول في النقد منذ أقدم شواهد المفاضلة بين الشعراء منذ القدم، وفي كون الصورة الشعرية معياراً نقدياً يقول زكي مبارك: (هذا فن جديد في نقد الشعر والموازنة بين الشعراء)[٢]، أما مصطلح التصوير البياني فلا ريب في أنه يرتبط بروح الجدة في البحث، وفي هذا الصدد يقول فايز الداية: (يتطلب النهج المتجدد اصطلاحات ورموزاً تعين على السير في شعابه وفروعه، لكن هذا لا يعني بالضرورة ابتكاراً لمنظومة من الأدوات الاصطلاحية المبايدة لما سبق تداوله في المصنفات القديمة... هل اختيارنا لمصطلح (الصورة الفنية) يرتبط بتصور حديث للبلاغة لا تغني معه المصطلحات التي قدمها علماء العربية من قبل؟ وما الذي نبقيه من تلك الأصول البلاغية في إطار نظرة تاريخية تحليلية لكتب النقد؟

إن ما يدفعنا إلى تخير (الصورة الفنية) هو البحث عن الجدة التي تستمد ألقها من الينابيع النقدية الأصيلة، ومن ثم تغدو أهلاً لإضافة خطوط عصرية إلى التكوين البلاغي النقدي)[٣]. ويمكن القول هنا إنه متى ظهر هذا المصطلح في ميدان النقد الأدبي؟ فالملاحظ أن زكي مبارك قد سبق النقاد إلى اعتماد هذا

(١) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ص٣٦.

(٢) زكي مبارك، الموازنة بين الشعراء، ص٦٤.

(٣) الداية، جماليات الأسلوب والصور الفنية في الأدب العربي، ص١٣.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

المصطلح في عالم النقد الأدبي[١]، هذا وإن من التعاريف المهمة للصورة ما أوردته الباحثة روز غريب في قولها: (الصورة كلام مشحون شحناً قوياً يتألف عادة من عناصر محسوسة: خطوط، ألوان، حركة، ظلال، تحمل تضاعيفها فكرة وعاطفة، أي إنها توحي بأكثر من المعنى الظاهر، وأكثر من انعكاس الواقع الخارجي، وتؤلف في مجموعها كلاً منسجماً)[٢]. وتكمن أهمية هذا التعريف كونه ذا صلة قوية بمجال هذا البحث، فقد تضمن عناصر عدة قامت عليها واتصفت بها نظرية التصوير البياني أبرزها الحركة والظلال، فضلاً عن وجود عناصر أخر تجتمع وإياهما يمكن تسميتها بالأسس والخصائص، لا سيما دلالة الألفاظ التي تبرز فيها لمسة (الظلال) قوية فعالة، ومما يبدو أن تعريف الصورة هذا هو للناقد (وليم فان) كما يقول الدكتور محمد حسين الصغير[٣]، وقد تأثرت به الباحثة روز غريب كثيراً في تعريفها الصورة كما أوردناه في النص السابق، ومنه يستمد الدكتور الصغير فكرته العامة عن الصورة الفنية فيقول: (وهذا يعني أنها مجموعة من العناصر المحسوسة التي ينطوي عليها الكلام وتحوي بأكثر مما تحمله من تضاعيف المعنى الظاهر، وأنها تنحصر في جانبين:

١- **الجانب الحسي: المرتكز على الفكرة والعاطفة والمشاهدة.**

٢- **الجانب الإيحائي: الذي يضفي على الشكل أكثر من تفسيره الظاهري**[٤].

ومن الإشارة إلى أن العرب لم يغفلوا قديماً تعريف مصطلح الصورة، فقد كان يعني عندهم مفهوم (المادة) والشكل الذي تتخذه الألفاظ لتؤدي المعنى أو يدل (على الجانب اللفظي الشكلي للمعنى)[٥]، بل يمكن القول: (إن مجيء لفظة «صورة» في الموروث القديم بدلالة الشكل مرة والصياغة والنظم مرة ثانية، والمعنى الحسي مرة ثالثة، ينفي عنها أن تكون دلالتها الاصطلاحية واحدة، وبمعنى الرسم بالكلمات ذي الطابع الحسي المعبر عن تجربة أو عاطفة)[٦]، ثم إن النقد القديم كان واعياً لأن الصورة هي عماد القول وقوامه، فلم يكن بحاجة إلى مصطلح الصورة ليدل على ذلك، فلقد كان في مصطلح (تشبيه) أو (استعارة) أو (كناية) أو (مجاز) ما يكفي للتدليل على أن الشاعر أو الناثر مصور ورسام، وفي العصر الحديث مؤخراً نجد أن أحد الباحثين ـ وهو الدكتور ماهر حسن فهمي ـ يشدد على وجود مذهب نقدي هو (المذهب التصويري)، ومقياس هذا المذهب هو الصورة الأدبية التي يقول فيها: (فالصورة الأدبية في أبسط تعريفاتها تجسيم

---

(١) ينظر مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، ج١، ص٦.

(٢) غريب، تمهيد في النقد الحديث، ص ١٩٢.

(٣) الصغير، الصورة الفنية في المثل القرآني، ص٣٠.

(٤) المرجع نفسه والصفحة.

(٥) العبيدي، دراسات في النقد الأدبي، ج١، ص٢٨ .

(٦) المرجع نفسه والصفحة.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

لمنظر حسي، أو مشهد خيالي، يتخذ اللفظ أداة له، ولا ينبغي أن نحسب أن التجسيم وحده هو كل شيء في الصورة الأدبية، فهناك اللون والظل أو الإيحاء والإطار، كلّها عوامل لها قيمتها في تشكيل الصورة وتقويمها)[١]. ويعود بعد أن يعد الصورة مقياساً لتماسك العمل الأدبي ليقول (ولكن ما عناصر هذا المقياس العام؟ إنها تتلخص في التكامل والزاوية والإيحاء والظل والترابط والإطار)[٢]. هذا وللصورة البيانية مكانتها في العمل الأدبي (فهي واحدة من السمات البارزة في العمل الأدبي، ويجب أن ينظر إليها في إطار مجموعة العلاقات الناشئة بين الكلمات التي تتشكل منها مع ارتباط بعضها ببعض؛ لأن النظر إليها بعيداً عن التركيب الذي وردت فيه إنما يبتر الرؤية الكلية للصورة التي سيقت ضمن بناء كامل والتي يجب أن تدرس من خلاله)[٣]، أضف إلى ذلك أن (وظيفة التعبير في الأدب لا تنتهي عند الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات، تضاف إلى هذه الدلالة مؤثرات أخر يكمل بها الأداء الفني، وهي جزء أصيل من التعبير الأدبي، هذه المؤثرات هي الإيقاع الموسيقي للكلمات والعبارات والصور والظلال التي يشعها اللفظ وتشعها العبارات زائدة على المعنى الذهني، ثم طريقة تناول الموضوع والسير فيه، أي الأسلوب الذي تعرض به التجارب وتنسق على أساسه الكلمات والعبارات)[٤]، أما قيمة الصورة البيانية وتأثيرها فإنه يحتاج إلى مساحة أوسع من الكلام لا يتسع المقام لذكرها، ويمكن النظر إليها في مظانها من كتب البلاغة.

ـ مقاييس الحكم على الصورة البيانية[٥]: أما ما تلك المقاييس والمعايير التي من خلالها يمكن الحكم على التصوير البياني؟ فمنها:

١- أن تكون الصورة وافية بأداء الغرض المطلوب، وأن تقدم ما لا تقدمه الحقيقة.

٢- أن تكون موجزة.

٣- أن تكون أقوى في أداء المعنى أداء مؤكداً.

هذه مقاييس ومعايير عامة يمكن من خلالها الحكم على الصورة، كما يمكن الاستضاءة بها والاستنارة بهديها في تتبع الصورة البيانية في حكميات الإمام الهادي عليه السلام، من خلال التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية ودلالة الألفاظ ونحوها مما انفرد به المحدثون كعنصر الرمز بمفهومه الحديث، وكذا الإيقاع، وسنتبين هذه الأمور بتسليط الضوء على ما جاء في أدبيات الإمام الهادي عليه السلام وحكمياته لاستجلاء الصورة البيانية والجمالية فيها، واستكناه تلك المعاني والقيم السامية الكامنة بها، وإيضاح العنصر الإعجازي والتماسك النصي في مطاويها

(١) ماهر، المذاهب النقدية، ص ٢٠٤.

(٢) ماهر، المذاهب النقدية: ص ٢٠٧ .

(٣) الوصيف، الصورة البيانية وتطورها، ص٣ .

(٤) سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص٤٠.

(٥) ينظر أحمد علي: من بلاغة الرسول، ص٢٠.

ذلك أن كلام الإمام هو إمام الكلام بما فيه من مسحة ربوبية وعبقة محمدية وإشراقة مرتضوية، وهم بالتالي أهل بيت زقوا العلم زقاً، بل هم من أسسوا البلاغة وسنوا الفصاحة، وإليهم يرجع الطالب، وبهم يستنجد الوارد، فهم تراجمة وحي الله تعالى، والأدلاء على شرعه، وحارسو سنة نبيه صلى الله عليه وآله، ومستودع حكمته وأسراره؛ لذلك فإن كلامهم واحد؛ كونه نابعاً من نور كلام جدهم أمير المؤمنين عليه السلام الذي قيل عنه: إنه (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين)[1]. وسنختار نماذج من حكميات الإمام عليه السلام للتدليل على المراد، وبمقدار ما تسمح به مساحة البحث، وإلا فالحديث عن الإمام عليه السلام مهما طال لا يوفيه حقه، ومن ثمَّ فإن الميسور لا يسقط بالمعسور، ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق.

المبحث الثالث:

نماذج مختارة من أدبيات وحكميات الإمام الهادي عليه السلام:

لا شك ولا ريب في أن الإمام الهادي عليه السلام يشترك مع باقي الأئمة عليهم السلام بالوظيفة في سماء الإمامة، لكنه يتفاوت من حيث النتاج الأدبي نظراً للظروف الاجتماعية والسياسية التي تلقي بظلالها عليه؛ إذ تستلزم سعة هذا العمل من ناحية وضموره من ناحية أخرى نظراً إلى أن الظرف الزماني لم يتح للائمة الأربعة: الجواد، والهادي، والعسكري، والمهدي عليهم السلام التوفر من حيث حجم المساحة الفكرية للنصوص الفكرية والأدبية كما هو شأن الأئمة السابقين عليهم السلام لأسباب تتعلق بالغيبة من ناحية، ولقصر المدة بالنسبة إلى الإمامين الجواد والمهدي عليهما السلام من ناحية أخرى، ولأسباب اجتماعية أثرت في إبعاد العسكريين عليهما السلام إلى سامرّاء، يضاف إلى ذلك تفنن الإرهاب المفضي إلى حجز الناس ومنع الوصول إليهم عليهم السلام، وهذا ما يفسر لنا سر عدم تضخيم نتاجهم عليهم السلام مقارنة مع نتاج باقي الأئمة عليهم السلام وبما يمكن معه القول إن مهمة الإمام عليه السلام الرسالية مرهونة بقنواتها السرية، وأما النتاج العلني فهو مرتبط بمناسبات خاصة يمكن من خلالها ظهور بعض النصوص الفنية عبر رسالة موجهة، أو مقابلة، أو كلمة عابرة، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة لجملة من النصوص ذات الطابع العلمي، نحو رسالته الجوابية المتعلقة بقضية (الجبر والتفويض) الكلامية، فضلاً عن الرسائل والأمالي المطروحة على بعض ممن تهمه شؤون الرسالة الإسلامية، في مقالات تتضمن تحليلاً أو تفسيراً لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، ومنها ما كانت ذات منحى نقدي بالرد على نظرات الآخرين، ومن ذلك ما يجمع بين الطابع العلمي والمعرفي وبين النتاج الفني؛ لأن المظهر الفني والبياني أو الأدبي في نتاجات أهل البيت عليهم السلام هو السمة الغالبة فيما أثر عنهم عليهم السلام، وهو أمر يمكن تلمسه أو ملاحظته في حكميات الإمام الهادي عليه السلام فيما ورد عنه من نصوص من نحو:

---

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٢٤.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

ـ «**الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون**»[١].

ففي هذا النص الشريف تتجلى لنا الصورة التمثيلية بأجلى مظاهرها، مكتنزة خصائص فنية غاية في الدلالة، ومتلفعة بأبراد البساطة في التعبير والسهولة واليسر في الأداء، باعتمادها ظاهرة يخبرها جميع البشر ألا وهي (السوق)، وفيه يكتسب الناس خبرة ومهارة بالبيع والشراء، ومن ثم الخسران أو الربح، والصورة التمثيلية الفنية التي استخدمها الإمام عليه السلام هنا تكمن فيما هو مألوف ومعتاد عند الناس عادة، هذا وما يحمل من عمق وطرافة بذات الوقت؛ لأن ما يتمثل بظاهرة السوق وبما ينطوي عليه سر التعبير من دلالة عميقة لدى استنطاق النص يتجلى في موضوع الاختبار والامتحان أو الابتلاء الذي يتمحص به الإنسان في أعماله وقضاياه، فإما النجاح أو الخسران، فمثلما أن السوق هو مضنة الربح والخسارة في عملية البيع والشراء باستخدام آليات الذكاء في التعامل، فكذلك القضية العبادية، فإما أن يستخدم الإنسان عقله ويخوض غمار هذا الامتحان الصعب، ويفوز على إثره نتيجة الانصياع لمبادئ الرسالة وتحقيق مرضاة الرب تعالى، وأما إلغاء دور العقل واتباع الهوى فتكون النهاية هي الصفقة الخاسرة ذلك هو الخسران المبين، وهنا استخدم الإمام الهادي عليه السلام هذا التصوير البياني وهذه الصورة التمثيلية التي تجسد أعمق الدلالات العبادية التي خلق الإنسان لأجلها كما تجلت فيها أوضح وأبسط الظواهر المألوفة لدى الإنسان في حياته المعتادة من خلال ارتياده السوق لممارسة عملية البيع والشراء التي تنتج الربح أو الخسارة، ومن ثمَّ فإن هذا التصوير جاء مألوفاً ومعتاداً من ناحية، وذا دلالة عميقة منتزعة من ناحية أخرى، فضلاً عن اكتساب النصّ عنصر الإبداع الفني الباهر.

ـ «**خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم حامله، وشر من الشر جالبه، وأهول من الهول راكبه**»[٢].

يحمل هذا النص من الإمام عليه السلام إثارة فنية ومسحة جمالية وطرافة أدبية بسبب أدواتها التصويرية ونغمتها الإيقاعية وجماليتها اللفظية، فهو نص متنوع الإيقاع من حيث التوازن والتجانس وصورة التشبيه، فمن حيث التماثل جاءت العبارات: (فاعله، قائله، حامله)، ومثلها في (جالبه، راكبه)، بكلمات مقفاة قسمت النص إلى إطارين لكل منهما نسيجه الخاص، ففي المقطع الأول انتظمت كلمات (فاعله، قائله ...)، أما في الثاني فتمثل في (جالبه، راكبه) رافقتها عبارات التجانس من مثل (أجمل، أهول ... نحو أجمل من الجميل ـ أهول من الهول ـ شر من الشر)، وقد رافق ذلك عنصر التوازن في العبارات الكامن في قوله: «خير من الخير فاعله، أجمل من الجميل قائله، أرجح من العلم حامله»، ومن الواضح أن تآزر هذه

(١) الحراني، تحف العقول، ص٥١٨ .

(٢) الأمين محسن، المجالس السنية، ج٢، ص٤٦٨ .

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

الخصوصيات البيانية من تجانس وتوازن وتماثل يضفي على النص جمالية إبداعية وصورة بيانية وحركة إيقاعية، وهذا ما يجعل النص يرقى فوق مستوى النصوص البشرية؛ لأنه تضمن صورة بلاغية تشبيهية واستعارة ترتدي أبراد الإبداع من مثل (أجمل، أهول، أرجح)، المتجسد بقالب التشبيه هذا ومن مثل (حامل العلم وراكب الهول) المتجذر في بلاغة الاستعارة هذه وما هذه الصورة البيانية والقيمة التصويرية إلا صورة من صور الإبداع الفني والجمال القيمي المتمثل في هذه القيم التعبيرية والأشكال الإيقاعية، وهذا ما يدهش النظر ويخلب القلب نظراً إلى القيمة الجمالية والصورة البيانية التي يحملها هذا النص الشريف.

ـ «إن الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه، وإن المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه»[١].

تتجسد الاستعارة المرشحة بأجلى مظاهرها في هذا النص البياني للإمام عليه السلام، فضلاً عن إننا نجد تنوعاً في هذه الصورة البيانية تتمثل في تقريب الأمر في عبارة (يكاد)، أما الاستعارة فتكمن في قوله عليه السلام: (يطفئ نور حقّه)، ثم تتعانق هذه الصورة الفنية مع الإيقاع الحاصل في قوله: (الظالم الحالم) وعبارة (ظلمه بحلمه) ثم إن ذلك تناغم مع القيمة اللفظية للمقابلة بين الظالم والحالم، والمحق والسفيه وكل ذلك يضفي على النص الشريف قيمة جمالية وأداءً بيانياً فائقاً يتصل بالنغمة الإيقاعية والصيغة اللفظية تنبثق منه تلك الصورة الفنية أو التصوير البياني الرائق.

ـ «السهر ألذ للمنام والجوع يزيد في طيب الطعام»[٢].

يمكن ملاحظة العناصر الفنية في هذا النص المبارك للإمام عليه السلام، ويتمثل ذلك في التورية بوصفها عنصراً بلاغياً وتصويراً بيانياً رائداً، ولعل مظهر ذلك يكمن في عنصر الطرافة المألوف في الكلام باعتباره صورة مألوفة نتيجة الممارسات اليومية للإنسان في كل يوم المتمثلة في الجوع والسهر وهما من مسلمات ممارساته المعتادة أو المألوفة ولكنها تستبطن عمقاً دلالياً وغوراً بعيداً؛ لأن المراد من قول الإمام عليه السلام ليس هو السهر المعتاد لانعدام النوم بل المقصود منه قيام الليل المتمظهر بممارسة العبادة وأداء الذكر، كما إنه ليس المراد من الجوع هو عدم تناول الطعام، بل المقصود الصيام، وهذه هي التورية المقصودة في الفن البلاغي الوارد استعمالها كثيراً في القرآن الكريم والمقصود من التورية أن يذكر المعنى القريب والمقصود هو المعنى الأبعد والدلالة الأوكد فالمعنى القريب أو الدلالة القريبة هي (السهر والجوع) أما الدلالة البعيدة فهي (قيام الليل والصوم)، ويمكن أن يدخل هذا الأمر في مصطلح الرمزية المعاصر أو فيما يسمى بإرادة الحكيم ذلك أن السهر يرمز إلى قيام الليل بينما يرمز الجوع إلى الصوم، وفي كلتا الحالتين ينبثق

(١) الحراني، تحف العقول، ص٥١٨.

(٢) الأمين، المجالس السنية، ج٢، ص٤٦٨.

العدد: الأول
السنة: الأولى
١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

عنصر الطرافة المتجسد في هذه الصورة البيانية فضلاً عن ألفتها وعمقها الدلالي؛ لأن استنطاق النص واستخلاص الرمزية هذه منه يعد صياغة فنية بارعة تنأى بالكلام عن الابتذال والمستوى الواطئ بما يكسبه مزيداً من الإبداع الفني والجمال القيمي وتلك هي الصورة الفنية أو التصوير البياني الكامن في حكمياته عليه السلام.

ـ الحكمة لا تنجح في الطباع الفاسدة[١]

تتمثل الصورة البيانية في هذا النص الشريف للإمام عليه السلام في عنصر الاستعارة بوصفها صيغةً من صيغ البلاغة العربية فقد جعل الطباع الفاسدة بمنزلة الأرض البور التي لا تنفع معها البذور الطيبة فاستعار لها الموعظة المؤثرة والكلام الحكيم ومن هذا القبيل قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير»، وعليه ينبغي الاقتصار مع الجاهل بمقدار يبلغ فهمه ويسعه ذهنه فكما أن لباب الثمار معدة للإنسان فالتبن معد للأنعام وعليه فلبَ الحكمة معد لذوي الألباب، وبهذا فقد أعطى النص الشريف في هذه الاستعارة رونقاً تمثل في تلك الصورة البارعة المنبثقة من الطباع المنزلة منزلة الأرض التي لا تصلح لغير البذور الجيدة؛ لأنه ليس من شأن التربة غير الصالحة إعطاء الغرس الصالح وكذا الطباع الفاسدة فلا تؤثر فيها الحكمة الرشيدة والموعظة الحميدة، وتلك هي صورة بيانية انخرطت من جمال التصوير لتعانق الأدب الفني المنبثق من فضاء التعبير الملتزم والأداء المعبر لمد جسور التواصل بين الغرض الديني المرتبط بالأداء الفني والعنصر البياني.

ـ لا تطلب الصفا لمن كدرت عليه ولا الوفا لمن غدرت به ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه فإنما قلب غيرك كقلبك له[٢]، يمكن معرفة العناصر الفنية في هذا النص الوارد عن الإمام عليه السلام والتي تتمثل في التشبيه الحاصل بوصفه عنصراً من عناصر الصيغ البلاغية في بلاغة العرب ويتجلى ذلك في طرافة التقابل بين الصفاء، الكدورة، والغدر، النصح وسوء الظن والمتجسد في صورة التشبيه في موارد القلبين ومكمن الصورة الجمالية في قضية التقابل بين ملمح الصفاء بغير الكدورة وعدم لقاء الوفاء مع الغدر أو تعاطي النصح مع سوء الظن وكل ذلك يضفي على النص براعة فنية وأدباً جماً يلتقي مع المعطى الديني والأثر الشرعي فيما يخص فقه العقيدة التي تسمو بالإنسان إلى معالي العظمة وترتقي به إلى سلم النصح والتكامل والنأي به عن سفاسف الأمور ودناءة المحتد ويأتي التشبيه ليعطي هذا المعلم الفني والأداء الوعظي رونقاً وبهاءً، ليجعل من قلب الإنسان في التمني والرجاء من عدمه كقلب الغير بالملحظ ذاته، وبالتوجه نفسه، لذا يلزم مراعاة إرشادات التشريع والأخذ بنصيحة المرشد للغرض النبيل من وراء ذلك القصد المنضوي تحت هذا الغرض الفني والأداء التعبيري المتجسد في صيغة التشبيه لجعل الغرض الديني متماثلاً ومتناغماً مع الهدف

(١) المرجع نفسه، والصفحة.

(٢) الأمين، المجالس السنية، ج٢، ص٤٦٨.

الأدبي لأداء مهمته البيانية.

ـ «حسن الصورة جمال ظاهر، وحسن العقل جمال باطن»[1].

يتضمن هذا النص المبارك للإمام عليه السلام من جمال الصورة وروعة المظهر بضميمة عمق المطلب، وهذا ما يأخذ بتلابيب الإعجاب ويهتز له عمق المشاعر والأحاسيس؛ لأن العنصر الفني يتناوب في ذلك التماثل في كلمة (حسن) و(جمال) والمقابلة في (ظاهر، باطن)، وهذا ما تنبثق منه تلك الصورة البيانية الرائعة، وذلك الأداء البلاغي الفائق إلى جانب رشاقة اللفظ المستعمل لأداء الغرض المطلوب ينساب في تفاعل المطلب الديني مع أناقة التصوير البياني، ما جعله يتصدر منصة البيان ويأخذ بتلابيب العرفان وإمكانية ربط الشكل بالمضمون لإبراز عمق الدلالة المقصودة؛ لأن الجمال الخلاب يتمثل في حسن صورة المنظر أو المظهر الخارجي للإنسان وكثيراً ما يجري إعجاب الناس وتتبارى على أساسه منتديات اختيار ملك الجمال ودور عرض الأزياء وما إلى ذلك لاختيار الأجمل على صعيد حسن الصورة وجمال المنظر وأناقة المظهر ناسين أو متناسين ولعله من باب غض الطرف للصورة الأحسن والجمال الأكمل ذلك هو حسن العقل وامتيازاته وسطوته وتفوقه في رهان السباق فالعقل به عبد الرحمان وهو زينة الإنسان والحكيم في فصل الخطاب وفض الخصومات وآلة البيان؛ لذا أشار إليه القرآن الكريم في آيات متعددة وهو سلاح الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في الدعوة والإصلاح وما إلى ذلك، وهو الجوهرة التي تميز الإنسان عن سائر المخلوقات فجعلته سيد الخلائق وبتعداد خصال العقل وصفاته يطول البيان لذا جعله الإمام عليه السلام الجمال الباطن مقابل الجمال الظاهر في هذه المقابلة البارعة لتتضح الصورة الحقيقية وتنبثق الصورة الفنية والعمق الدلالي عند استنطاق عمق اللفظ في فضاءاته الفنية البارعة إلى جانب إرشاداته الدعوية الرائعة.

ـ من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك[2]، تبرز إبداعات الإمامة وتتضح قداسة الكلمات الحاملة لمشعل النور والهداية المتوشحة بنصاعة التعبير والدراية تلك هي جوامع الكلم والسهل الممتنع الصادر من نور الإمامة وعبق العصمة ففي هذا النص المعصوم الرائع تبرز فيه جمالية الكلام وفن القول على لسان الإبداع فقد تمظهر الحس الفني في ذلك التمثيل البلاغي ذي العنصر البياني الحامل لكلمة (جمع) والمقابلة المؤسسة في كلمتي (الود، الطاعة) في أداء فني رائع وغرض تعليمي بارع أكسب النص روعةً وبهاءً ووشاه حلةَ البلاغة وفصل الخطاب إلى جانب العمق الدلالي أو السمة الدلالية المنبثقة، ففرق كبير في مواضعات الناس اليومية وأدبياتها في قاموس التعامل بين ما هو الظاهر القشري لسير عجلة الحياة وبين ما هو ظاهر صادر عن حسن نية وسلامة طوية ذلك هو الود أو المودة

(١) أعلام الهداية، الإمام الهادي، ص٢٣٦.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ٥١٨.

التي تجمع بين حسن الظاهر وجمال الباطن الذي أتحفنا به القرآن الكريم في آياته الصادحة، وإذا ما وصل مستوىٰ التعامل عند البشر إلىٰ هذا الحد فحينئذ يتوجب إعطاء يد الطاعة لقناعة النفس واستقرارها بسلامة الموقف واطمئنانها بحسن الظاهر مع خبر الباطن وتلك مزية تشير إلىٰ حسن السيرة ونصاعة الطوية تثمر عن تصرف مسؤول وإسداء للمعروف حاصل وتقديم للخير عن سلامة قصد ونية خالصة، ومتىٰ ما توصلت المجتمعات إلىٰ هذه الواقعية سلمت التصرفات وشاع الخير والإنصاف وتحكمت قوانين الثقة وقواعد المروءة وما إلىٰ ذلك، ومن هنا حمل هذا النص الشريف تلك المعاني السامية وأدىٰ الغرض المطلوب والهدف المنشود بصيغة لفظية بيانية بأقصر ألفاظ وأدق عبارات حققت الجانب الفني والتصوير البياني إلىٰ جانب العمق الدلالي، وتلك هي براعة فن القول وروعة صيغة التعبير، نكتفي بهذا المقدار وإلا فالأمثلة كثيرة جداً يطول المجال بذكرها مراعاة لحجم البحث ومقداره وحسب البحث إعطاء شواهد مختارة وشوارد منتقاة للتدليل علىٰ المراد ونستغفر الله تعالىٰ من زلة القلم وفلتة القول راجين فضله وكرمه وأن يجعل العمل هذا في ميزان الحسنات وأن ينال رضا الإمام عليه السلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خاتمة البحث:

سجل أئمة أهل البيت عليهم السلام بمداد من نور أسمىٰ آيات العرفان والفضيلة في سماء العلم والمعرفة، ومزيداً من العطاء التكاملي في دنيا الحقائق والكمالات والمواعظ والإرشادات ونحوها، سواء ما كان منها في ميادين العلوم والآداب أم في سوح الفضائل والمكارم، وفجروا العبقريات الفذة في مختلف الصعد، فسجلُّهم حافلٌ بالإنجازات والتضحيات، ولا زالت البشرية مدينة لها علىٰ مر الدهور والأعصار، ومن أولئك الأئمة الذين سجلوا حضوراً متميزاً ورائداً الإمام الهادي عليه السلام الذي تمتع في أدبياته وحكمياته بصدق وبذوق أدبي بالغ السمو وحس نقدي رفيع المستوىٰ في إلقاء تلك الحكميات والتوصيات العالية الجودة والإبداع، وشكلت صياغة فنية في التعبير وجزالة الألفاظ وفن الإلقاء بمعانٍ سامية ومراتب عالية ذات فن مرهف وذوق بلاغي متميز وتصوير بياني ورصيد بالغ الأهمية من العمل الأدبي والإرشاد التربوي، فقد أثرت عنه عليه السلام في هذا المجال من الجمل الصغيرة والحكم القصيرة ما تمتد أبعادها إلىٰ أعمق المعاني الإنسانية، وأسمىٰ الأهداف الاجتماعية، وأنبل الآفاق الدينية التي جال البحث بشرح مغازيها وبيان مضامينها واستجلاء كوامنها.

المصادر والمراجع:

١. ابن خلكان، وفيات الأعيان ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، القاهرة، ١٣٦٧هـ .

٢. الأمين، محسن، المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٧ هـ .

٣. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، دار القارئ، بيروت، ط٢، ١٤٣٠هـ

٤. الحنبلي، ابن العماد، شذرات الذهب، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م .

٥. الداوودي، ابن عنبة، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف،١٩٦١م .

٦. الداية، فايز، جماليات الأسلوب الصورة الفنية في الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢ ، ١٤١١هـ .

٧. الدمشقي، ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٣هـ.

٨. الذهبي، محمد بن محمد، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢ ، ١٤٠٧هـ .

٩. الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٦، ٢٠٠٥م.

١٠. الشافعي، ابن طلحة، مطالب السؤول، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧١هـ

١١. الشبراوي، عبد الله بن محمد، الإلتحاف بحب الأشراف، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١ ، ١٣٨٥ هـ .

١٢. الشبلنجي، مؤمن، نور الأبصار في مناقب آل البيت المختار، دار المعرفة، بيروت، ط١ ، ١٤٢٦ هـ .

١٣. الصغير، محمد حسين، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.

١٤. العبيدي، رشيد، دراسات في النقد الأدبي، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٣٨٩هـ.

١٥. العسقلاني، ابن حجر، الصواعق المحرقة، مطبعة دار الطباعة المحمدية، مصر، ١٣١٢هـ .

١٦. القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول، تحقيق فهمي سعد وأحمد خطيط، عالم الكتب، بيروت، ١٤١٢هـ .

١٧. القندوزي، سليمان بن محمد بن إبراهيم، ينابيع المودة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١ ، ١٤١٨ هـ .

١٨. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دمشق، ط٢ ، ١٩٦٥م.

١٩. الوصيف، هلال، الصورة البيانية وتوظيفها، دار الثقافة للطباعة، ١٩٨٦م .

٢٠. اليافعي، أبو عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٢١. آل ياسين، محمد حسن، الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام، منشورات الاجتهاد، مطبعة الغدير، النجف الأشرف، ط١، ١٤٢٨هـ.

٢٢. روز، غريب، تمهيد في النقد الحديث، دار المكشوف، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

٢٣. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م.

٢٤. عبد العزيز، أحمد علي، من بلاغة الرسول صلى الله عليه وآله، دار اليقين، مصر، ط١، ٢٠١٤م.

٢٥. ماهر، حسن، المذاهب النقدية، مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ.

٢٦. مبارك، زكي، الموازنة بين الشعراء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٥٥هـ.

٢٧. مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٥م.

٢٨. مجموعة مؤلفين، أعلام الهداية، الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت، قم، ط١، ١٤٢٢هـ.